مذهب العلم في النفس

لِمَن المحاسنُ من خلال البرقع ... ذهبت بلبّ العاشق المستطلع
اشفقت على الدنيا وشفّ قناعُها ... فكأنّها ليست بذات تقنّع
وكأنّ ما طالعتُ من اوصافها ... نفحاتُ معبدَ عِبنَ ساكنَ مسمعي
قلبتُ ما بين الرئيس وبينها ... جمّ الشكوك على ظهارة ادمعي
خفيت حقيقتُها عليه فقالها ... « هبطتَ اليك من المحلّ الارفع »
وجرى ابيرُ الشعر في استعراضها ... مجرى ابن سينا مع كثير توسُّع
فتصوّراها قبل عهد وجودها ... روحاً تحلّقُ في الفضاء الاوسع
عذرُ الرئيس زمانُهُ لكنّهُ ... ما عذرُ شوقي في الزمان الاروع
ما النفسُ بالحدث الذي يريانهِ ... كوديعةٍ والجسمُ كالمستودع
لم تستقلّ لكي تُجرَّد أو تكن ... شيئاً لتشغلُ حيّزاً في موضع
هي قوّةٌ في الجسم قائمةٌ به ... وخصائصُ الاجسام لم تتقطّع
فوجودُها بوجودهِ فاذا انطوى ... الجسمُ انطوت معهُ بنفس المضجع

عج بالقبور وناد هل من سامع ... لنداك في وحشاتِ دارٍ بلقع
وهل النفوسُ وقد توسّدت الثرى ... يقظى ترف على العيون الهجّع
ليت الخلودَ نصيبُهنّ وليتني ... اخطو اليهِ على شفار القُطّع
ما العيشُ بعد احبّتي لي مطمعٌ ... فيهِ ولا البلوانُ شيمة مولعِ
تلك النفوسُ عفت على ابراجها ... مذ صُدّع التركيبُ كلّ مصدّع
من منبع الاحياء اين مقرُّها ... في النور او في ظلمة المتكشّع
ولاي شيء لا عن مجلوقٍ ... ان كان حبلُ وجودها لم يُقطع
كم منفقٍ جهداً على استحضارها ... فشلت وسائلهُ وكم من مدّعي
لو اشعرت تلك النفوسُ حقيقةً ... حفلت بدمع الثاكل المتفجّع
وهي التي في زعمهم قبل الرّدى ... كانت مثال المشفق المتبرّع
لم لا ترُدُّ سؤالنا باشارةٍ ... إن صحّ ان نطقت عهد المرضع
بالشمس شبّهها الامير وليتهُ ... كالشمس رهن تغيبها والمطلع

تلك بعدها طولُ البقاء فقد مضت كرهاً كما جاءت وما من مرجع
« فكأنها برق تألّق في الحمى ثم انطوى فكأنهُ لم يلمع »

***

هذا وإنّ الله جلّ جلالهُ لم يتخذ في التكوين نحوَ تصنّع
شاء الوجود فكان بذرة زارع لولا عنايتهُ بها لم تطلع
سارت على سنن الرقيّ فكلّما طال الزمانُ بدت بزيّ ابدع
أوَ لا ترى الابداعَ في تصويرنا هذا ادل على اقتدار المبدع
لم يوجد الاشياء كاملةً كما تبدو بحاضر شكلها المتنوّع
بل أوجد الناموسَ يفعل فعلهُ في الكون تدريجاً بغير تسرّع
فالارض اصلاً لطخة من شمسها من غاز انقلبت الى مستنقع
حتى اذا جفّت يباساً آذنت للحيّ (١) منها ان يلوذ بمربع
سبق الجمادُ نباتهُ وكلاهما الحيوان بعد تواصل وتنوّع
حلقات سلسلة نظيم عقدُها من كل جنس في الجهات الاربع
لا تحسب الانسانَ بيت قصيدها وختام فعل رقيّها المتجمّع
فلربّ آتٍ مضرمٌ ما لم يكن في يومنا والامس بالمتوقّع
وإذن فما الانسانُ، ماذا نفسهُ وهمٌ تملّك قلب غير الالمعي
فاذا عجبتَ لهُ فدونك حولهُ اشياء ادعى للتعجّب لو تعي

***

قف تحت هذي القبّة الجوفاء في جنح الدياجي وقفةَ المتخشّع
وأدر لحاظك في النجوم كأنها حدقٌ تُطلُّ على الرقيع الابقع
واستنطق الافلاكَ في دورانها ماذا وراء مسيرها من مطمع
وسل المجرّةَ كم بها من كوكبٍ بادٍ وآخر بالسديم ملفّع
واستشهد المرّيخ هل من ساكنٍ فيه وهل للنقص من مترفّع
وهل الشرائعُ عندهم وضعُ الحجى ام وحيُ ربٍ خطّهنّ باصبع
تلك العوالمُ مثلُ عالمنا وقد تنحطُّ عنّا باختلاف الموقع
ولربّما بلغ الكمالُ ببعضها شأواً يعزّ هنا على المتطلّع

(١) كناية عن الانسان

واذا تقرّر ذا فايّةُ مزيّةٍ للنفس في جثمانِ هذا الاوكع
ملك الغرورُ عقولنا فاذا بها طالت على ركنِ الوجودِ الامنع
واستنزلت نحو الطبيعة روحهُ من شاهقٍ اعلى لقعرٍ اوضعِ
ليس الحلول بلايقٍ بجلاله وتنزّه الخلّاقُ عمّا ندّعي

***

هذا يقيني لا لجاف قذيفةً من دافعٍ حتى ولا من مدفعِ
لا شيء في المحسوس يقضُهُ فمن شاء الخضوع لغيره فليخضع
انّ العقول تطوّرت فراسُها صعبٌ عليك بلا دليلٍ مقنعِ
ايُهدمُ بنيانٌ قويٌّ اسُّهُ لِيُشاد فوق مقلقلٍ متضعضعِ
آمنتُ أنّ النفس من آياتهِ اعيانَ ندبٍ عاقلٍ متورّعِ
لكن على عكسِ المقولِ بكونها من منبعٍ وفريعها من منبعِ
هيهاتَ الرقيّ وسوف ترقى دائماً بتعزّز حتى دنوّ المصرعِ

الاسكندرية يوسف اسعد

[المقتطف] نشرنا هذه القصيدة لا لانها تعبر عن رأي علماء الطبيعة اجمع كما يظن منشئها بل لانها صوت شاعر احسن التعبير بنغم شعري مطرب عن رأي علماء الطبيعة اجمع في كيفية النشوء والارتقاء وعن رأي فريق منهم يحسب ان العقل او النفس صفة من صفات المادة تزول باندثارها مع انها بلغت ارقاها في الانسان. لكن اثبات ذلك يستلزم دليلاً كالدليل على انها جوهر مستقل يدخل جسم الانسان عند تكوّنه ويخرج منهُ عند موته. والذي عرفناهُ بالبحث والتحري ان العلوم الطبيعية لم تصل حتى الآن الى دليل علمي يثبت منهُ بقاء النفس بعد الموت منفصلة عن الجسد ولا الى دليل ينفي هذا البقاء. ولذلك شاع مذهب اللاادريين بين علماء الطبيعة. الا ان ما يجهلهُ اليوم لا يستلزم ان نبقى عاجزين عن الوصول الى دليل علمي على بقاء النفس لانهُ اذا ثبت ما يقولهُ السر اوليفر لدج وانصارهُ عن مخابرة الارواح فذلك دليل علمي قاطع على وجودها. ثم ان ما عجز العلم الطبيعي عن اثباته حتى الآن لا يتعذر على الفيلسوف اثباتهُ بدليل فلسفي يقنع اكثر العقول كما ترى في مقالة السر اوليفر لدج التي نشرنا بعضها في مقتطف فبراير وتتمتها في هذا الجزء وكما سننشرهُ في فرصة اخرى